أثر تربيع الكعبة والآطام قبل الإسلام على بعض القصور والمنارات الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين "دراسة تاريخية حضارية"

The Influence of Squaring the Kaaba and the A'tam Before Islam on Some Islamic Palaces and Minarets in the era of the Rashidun caliphs: A Historical and Civilizational Study

د/ خلود سلطان بخيت البخيت
دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية
رئيس قسم بوزارة التربية – دولة الكويت
Dr. Kholoud Sultan Bakheet Al-Bakheet
Ph.D. in Islamic History and Civilization
Head of the Department at the Ministry of Education - State of Kuwait Email
Kholoud170382@gmail.com

الملخص:
أثر تربيع الكعبة الأولى على العديد من المباني التي شيدت داخل وخارج الجزيرة العربية سواء قبل أو بعد الإسلام، ومن أهم هذه المباني الآطام (الحصون – الصياصي)، التي جاءت في معظمها مربعة الشكل، وفي الحضارة الإسلامية نهى الرسول، صلى الله عليه وسلم، عن بناء آطام جديدة بالمدينة، وفي الوقت نفسه نهى عن هدمها، وقد أذن بلال، رضي الله عنه، من على أطم، وقد أثر تربيع الكعبة والآطام على بعض القصور والمنارات في عصر الخلفاء الراشدين، حيث أمدتنا المصادر التاريخية بنصوص في غاية الأهمية نتبين منها أن عمارة قصر عبد الله بن عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط بمصر قد شيد بتخطيط مربع الشكل على غرار تربيع الكعبة الأولى، كما أثر تربيع الكعبة والآطام على منارات، أو مآذن، أو صوامع الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) (٢٤-٣٥هـ/٦٤٥-٦٥٦م) في المسجد النبوي بالمدينة (٢٩هـ/٦٤٩م).

الكلمات المفتاحية:
الكعبة – الآطام – الحصون – الصياصي - القصر – العماليق – المدينة - المسجد النبوي - المنارات – الفسطاط.

Summary:
The squareness of the first Kaaba contributes to many offices that were built inside and outside the Arabian Peninsula, whether before or after Islam. Among the most important of these buildings are the outbuildings (forts - Al-Sayyasi), which cover most of them square in shape. In Islamic civilization, the Messenger, may God bless him and grant him peace, forbade Building new pillars in the city, and at the same time forbade demolishing them. Bilal, may God be pleased with him, changed from the pillar, and the squareness of the Kaaba and the pillar influenced some palaces and minarets in the Islamic era, as the historical source provided us with very important texts from which we can see that the architecture of the palace Abdullah bin Amr bin Al-Aas, the city of Fustat in Egypt, was built with a square plan, penetrating the

square of the first Kaaba. The square of the Kaaba and the monuments also affected the minarets, minarets, or silos of Caliph Othman bin Affan (may God be pleased with him) (24-35 AH / 645-656 AD).)) In the Prophet's Mosque in Medina (29 AH/649 AD).

key words:
The Kaaba, the monuments, the forts, Al-Siyasi, and the palace

المقدمة:

يهدف موضوع هذا البحث إلى دراسة تربيع الكعبة الأولى وأثره المعماري داخل وخارج مكة المكرمة سواء قبل أو بعد الإسلام من خلال النصوص التاريخية التي وردت في المصادر التاريخية سواء المبكرة، أو المتأخرة، كما يهدف إلى إلقاء الضوء على الآطام (الجمع القليل) (الحصون – الصياصي)، أو الأطوم (الجمع الكثير)، خاصة تلك التي شيدت على الطراز المعماري المربع الشكل، والذي يعد امتدادًا لتربيع الكعبة الأولى، حيث جاءت معظم هذه الآطام على الطراز المعماري المربع الشكل، فقد زخر تاريخ وحضارة وآثار المدينة المنورة بشكل خاص، والجزيرة العربية بشكل عام في الجاهلية والإسلام بذكر هذه الآطام، التي كانت بالنسبة لأهل المدينة خاصة تمثل عزهم من جهة، ومنعتهم من جهة أخرى، وكان ابتكار هذا النوع من المنشآت المعمارية سواء السكنية، أو الحربية، أو السكنية والحربية في آن واحد في المدينة موغلاً في القدم من عصور ما قبل الإسلام حتى عصر النبي، صلى الله عليه وسلم، عندما أسس الدولة الإسلامية، وحول يثرب والقرى المجاورة لها إلى المدينة، وقد يكون تطور أول ما تطور فيها، حتى أنها عرفت في الشعر بربة الآطام.

كذلك يهدف إلى دراسة أثر تربيع الكعبة الأولى والآطام على بعض القصور والمنارات في عصر الخلفاء الراشدين، حيث أمدتنا المصادر التاريخية بنصوص في غاية الأهمية نتبين منها أن عمارة قصر عبد الله بن عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط بمصر قد شيد بتخطيط مربع الشكل على غرار تربيع الكعبة الأولى، كما أثر تربيع الكعبة والآطام على منارات الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) (٢٤-٣٥هـ/٦٤٥-٦٥٦م) في المسجد النبوي بالمدينة المنورة (٢٩هـ/٦٤٩م).

لذا فهو موضوع على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للحضارتين العربية القديمة قبل الإسلام والعربية الإسلامية.

هذا وينقسم هذا البحث إلى أربعة محاور، يمكن عرضها على النحو الآتي:

- **المحور الأول:** تربيع الكعبة الأولى قبل الإسلام
- **المحور الثاني:** الآطام أو الأطوم لغة واصطلاحًا
- **المحور الثالث:** تاريخ وعمارة الآطام في الحضارة الإسلامية
- **المحور الرابع:** أثر تربيع الكعبة والآطام أو الأطوم على بعض القصور والمنارات في عصر الخلفاء الراشدين

الموضوع:

- المحور الأول: تربيع الكعبة الأولى قبل الإسلام:

- أولاً: الكعبة والمربع لغة:

عرفت مكة المكرمة بأسماء كثيرة وصلت إلى أربعة وخمسين اسمًا، خمسة عشر اسمًا منها وردت في القرآن الكريم، غير أن أشهر ما عرفت به من الأسماء هو "مكة المكرمة"، وهي تمثل نقطة الالتقاء بين تهامة وجبال السروات، أما نشأتها فهي إلهية تبدأ من قوله عز وجل في سورة آل عمران:" لي ما هم نر نز نم نن ني ني ىٰ ير"، أما الكعبة المشرفة فتمثل سرة

الأرض ووسط الدنيا، لأنها دحيت من تحتها، وفي مكة المكرمة الكعبة المشرفة قبلة المسلمين، التي أولاها الجغرافيون، والمؤرخون، والرحالة جل عنايتهم واهتمامهم، وهي تمثل درة المباني الدينية.[١]

و"الكعبة" لغة: البيت المربع، والبيت الحرام، وجمعه "كعاب"، قال ابن سيده (المتوفى سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م):"الكعب: كل مفصل للعظام...وكعبت الشيء: ربعته. والكعبة: البيت المربع. وجمعه كعاب. والكعبة: البيت الحرام، منه، لتكعيبها: أي تربيعها. وقالوا: كعبة البيت، فأضيف، لأنهم ذهبوا بكعبته إلى تربع أعلاه...".[٢]

وكل "بيت مربع"، فهو عند العرب "كعبة"، قال ابن منظور (المتوفى سنة ٧١١هـ/١٣١١م):"كعب...وكعبت الشيء: ربعته. والكعبة: البيت المربع، وجمعه كعاب. والكعبة: البيت الحرام، منه، لتكعيبها أي تربيعها. وقالوا: كعبة البيت فأضيف، لأنهم ذهبوا بكعبته إلى تربع أعلاه، وسمي كعبة لارتفاعه وتربعه. وكل بيت مربع، فهو عند العرب: كعبة...والكعبة: الغرفة، قال ابن سيده: أراه لتربعها أيضًا...".[٣]

و"الكعبة" كل بيت مربع الجوانب، والجمع "كعبات"، و"كعاب"، فقد جاء في المعجم الوسيط:"(الكعب): كل مفصل من العظام...(الكعبة): البيت الحرام بمكة. و- كل بيت مربع الجوانب. (ج) كعبات، وكعاب...و- (في المساحة): الجسم الذي يحيط به ستة مربعات متساوية. و- في (الحساب): العدد الحاصل من ضربه بمربعه، فثمانية هو مكعب اثنين".[٤]

أما "المربع" لغة فمن "ربع الشيء"، أي جعله مربعًا، فقد جاء في المعجم الوسيط:"(ربع) الشيء: جعله مربعًا. و- جعله أربعة أجزاء...(الأربعة): من ألفاظ العدد...(الرباعي): ما ركب من أربعة أشياء. وهي رباعية. و- (في الرياضة والهندسة): شكل مستو محدود بأربع أضلاع مستقيمة، يتلاقى كل ضلعين متجاورين في نقطة تسمى بالرأس...(المربع): كل ما له أربعة أركان. و- (في الهندسة): ما له أربع أضلاع متساوية، وزواياه متساوية".[٥]

- **ثانيًا: الكعبة اصطلاحًا:**

ذكر الله عز وجل المسجد الحرام في كتابه العزيز في خمسة عشر موضعًا، وقد نقل الزركشي (المتوفى سنة ٧٩٤هـ/١٣٩١م) عن الماوردي أن كل موضع ذكر الله فيه المسجد الحرام، فالمراد به "الحرم"، إلا في قوله تعالى:"يىئج ئح ئخ ئم ئه"، فإنه أراد به الكعبة.[٦]

وقد ذكر الله عز وجل الكعبة في كتابه العزيز في موضعين من سورة المائدة، الأول نصه:"ئخ ئم ئه بج بح بخ بم بهتج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فجفح فخ فم قح قمكج كح كخ كل كم لجلح لخ لم له مج مح ".

أما الآخر فنصه:"ي يى ذٰ رٰ ىٰ ٌّ ٍّ ُّ ّٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي".

- **تربيع الكعبة الأولى في كتابات ابن عبد الحكم والحموي:**

قال المقدسي (المتوفى سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م) عند ذكره "جزيرة العرب":"مكة هي مصر هذا الإقليم قد خطت حول الكعبة في شعب واد...وكلما نزل عن المسجد الحرام يسمونه المسفلة وما ارتفع عنه المعلاة وعرضها سعة الوادي والمسجد في ثلثي البلد إلى المسفلة والكعبة في وسطه...".[٧]

وقد أمدنا المؤرخ ابن عبد الحكم (المتوفى سنة ٢٥٧هـ/٨٦٧م) عند ذكره "الخطط" بنص في غاية الأهمية – سأتناوله لاحقًا - نتبين منه تربيع الكعبة المشرفة الأولى، حيث أورد ما نصه:"واختط عبد الله ابنه (عمرو بن العاص) هذه الدار الكبيرة التي عند المسجد الجامع وهو الذي بناها هذا البناء وبنى فيها قصرًا على تربيع الكعبة الأولى...".[٨]

وقال الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م):"الكعبة: بيت الله الحرام...جاء في الأخبار: أن أول ما خلق الله في الأرض مكان الكعبة ثم دحا الأرض من تحتها فهي سرة الأرض ووسط الدنيا وأم القرى أولها الكعبة وبكة حول مكة وحول مكة الحرم وحول الحرم الدنيا...وأما صفته فذكر البشاري وقال: هو في وسط المسجد الحرام مربع الشكل...سميت الكعبة لأنها مكعبة على خلق الكعب، وقيل: التكعيب التربيع، وكل بناء مربع كعبة، وقيل: سمت لارتفاع بنائها، وكل بناء مرتفع فهو كعبة...وخصائص الكعبة كثيرة وفضائلها لا تحصى...".[٩]

مما تقدم يتضح أن الكعبة المشرفة – لغة وعمارة – كانت عبارة عن تكوين معماري مربع الشكل، وتؤكد النصوص التاريخية على أن تربيع الكعبة قد أثر على العديد من المباني التي شيدت داخل وخارج الجزيرة العربية سواء قبل أو بعد الإسلام، ومن أهم هذه المباني على وجه الإطلاق الآطام (الجمع القليل)، أو الأطوم (الجمع الكثير)، والتي كانت تقام عند العيون وآبار المياه على طول طرق القوافل الممتدة عبر الجزيرة العربية، وتفصيل ذلك يمكن عرضه على النحو الآتي:

- المحور الثاني: الآطام أو الأطوم لغة واصطلاحًا:

قال ابن سيده:"الأطم: حصن مبني بحجارة، وقيل: هو كل بيت مربع مسطح، والجمع القليل من كل ذلك: آطام، قال الأعشى:

فلما أتت آطام جو وأهله

أنيخت فألقت رحلها بفنائكا

والكثير: أطوم، قال ابن الأعرابي: الأطوم: القصور".[١٠]

وقال الحموي عند ذكره "أطم الأضبط"، ما نصه:"الأطم: يقال بضمتين، وبضمة ثم السكون، والأطم والأجم بمعنى واحد، والجمع آطام وآجام: وهي الحصون، وأكثر ما يسمى بهذا الاسم حصون المدينة، وقد يقال لغيرها أيضًا، قال أوس بن مغراء:

بث الجنود لهم في الأرض يقتلهم،

ما بين بصري إلى آطام نجرانا

وقال زيد الخيل الطائي:

أنيخت، بآطام المدينة، أربعًا

وعشرًا، يغني فوقها الليل طائر

...وأما الأضبط: فهو الأضبط بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وكان أغار على أهل صنعاء فلما انتصف منهم وملكهم بنى بها أطمًا نسب إليه...".[١١]

وفي هذا الإطار قال ابن منظور:"أطم: الأطم: حصن مبني بحجارة، وقيل: هو كل بيت مربع مسطح، وقيل: الأطم مثل الأجم، يخفف ويثقل، والجمع القليل آطام وآجام...والكثير أطوم، وهي حصون لأهل المدينة...والواحدة أطمة مثل أكمة، وباليمن حصن يعرف بأطم الأضبط، وهو الأضبط بن قريع بن عوف بن سعد بن زيد مناة، كان أغار على أهل صنعاء وبنى بها أطمًا وقال:

وبنيت أطمًا في بلادهم،

لأثبت التقهير بالغصب

ابن سيده وغيره: الأطم حصن مبني. ابن الأعرابي: الأطوم القصور. وفي حديث بلال: أنه كان يؤذن على أطم، الأطم، بالضم: بناء مرتفع، وجمعه آطام. وفي الحديث: حتى توارت بآطام المدينة يعني بأبنيتها المرتفعة كالحصون...".[١٢]

- **مصطلح "الحصون":**

- مصطلح "الحصن" ذكره ابن منظور، بما نصه:"حصن: حصن المكان يحصن حصانة، فهو حصين: منع، وأحصنه صاحبه وحصنه. والحصن: كل موضع حصين لا يوصل إلى ما في جوفه، والجمع حصون. وحصن حصين: من الحصانة. وحصنت القرية إذا بنيت حولها، وتحصن العدو. وفي حديث الأشعث: تحصن في محصن، المحصن: القصر والحصن. وتحصن إذا دخل الحصن واحتمى به...".[١٣]

وفي هذا الإطار ذكر عبيد مدني أن من اللغويين من عني بفقه اللفظة واشتقاقها، وكأنهم قصدوا ربط الصلة بين الهيكل وبين الأصل اللفظي، وفي طليعتهم ابن فارس، وهو من أعلام القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، الذي يقول:"الهمزة والطاء والميم يدل على الحبس والإحاطة بالشيء يقال للحصن أطم"، ونحا نحوه صاحب لوامع النجوم في تهذيب شمس العلوم فقال:"...فعال بالضم الآطام احتباس البطن وبالكسر كل شيء أحاط بشيء فهو له إطار كإطار المنخل".[١٤]

وقد أضاف عبيد مدني[١٥] أن لفظة "أطم" لم ترد في القرآن الكريم، ولكنه عندما قص علينا أخبار غزوتي بني النضير وبني قريظة أشار – والله أعلم - إلى الآطام بالحصون[١٦] في سورة الحشر في غزوة بني النضير، قال تعالىً:"لي ما مم نر نز نم نن ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم"، وبالصياصي في سورة الأحزاب في غزوة بني قريظة، قال تعالى:"ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز".

- **مصطلح "الصياصي":**

"الصياصي" لغة: من "صيص"، وهذا المصطلح يتفق مع النمط الثالث للآطام، الذي يجمع في آن واحد ما بين العمارتين السكنية والحربية – سأتناوله لاحقًا -، قال ابن منظور:"والصياصي: الحصون. وكل شيء امتنع به وتحصن به، فهو صيصة، ومنه قيل للحصون: الصياصي، قيل شبه الرماح التي تشرع في الفتنة وما يشبهها من سائر السلاح...".[١٧]

وتفصيل ذلك فيما يتعلق بهذا المصطلح "الصياصي" وآطام منازل قبائل الأنصار أورد السمهودي (المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٦م) ما نصه:"...وكان في رحبة بني زيد بن مالك بن عوف أربعة عشر أطمًا يقال لها الصياصي، وكان لهم أطم بالمسكبة شرقي مسجد قباء، وأطم يقال له "المستظل" كان موضعه عند بئر غرس...".[١٨]

- **مصطلح "القصر":**

مصطلح "القصر"[١٩] ذكره ابن منظور، بقوله:"والقصر من البناء: معروف، وقال اللحياني: هو المنزل، وقيل: كل بيت من حجر، قرشية، سمي بذلك لأنه تقصر فيه الحرم أي تحبس، وجمعه قصور. وفي التنزيل العزيز: ويجعل لك قصورًا: والمقصورة: الدار الواسعة المحصنة...والمقصورة مقام الإمام، وقال: إذا كانت دار واسعة محصنة الحيطان فكل ناحية منها على حيالها مقصورة، وجمعها مقاصر ومقاصير...".[٢٠]

مما تقدم يتضح أن الآطام التي تميزت بها المدينة من جهة، وبعض بلاد الجزيرة العربية[٢١] الأخرى مثل نجران، وصنعاء، وغيرهما، سواء في الجاهلية، أو الإسلام من جهة أخرى، قد اتسمت بعدة سمات وخصائص يمكن عرضها على النحو الآتي:

- **<u>المادة البنائية:</u>**

جاءت المادة البنائية من الحجر[٢٢] والذي كان يمثل المادة الأساسية في بنائها، وغالبًا ما كانت هذه الأحجار من النوع الأسود البازلتي، ولكن هناك من الآطام ما شيد من الحجر الأبيض[٢٣] مثل أطم الضحيان[٢٤] وقد استخدم لازب الطين والأصرة

[٢٥]في تشييدها، وهي من المواد التي استخدمت غالبًا كمونة [٢٦]مثل أطم واقم، الذي بناه بنو عبد الأشهل [٢٧]وكانت مادة الحجر، ومادة الخشب في التسقيف هي السمة البارزة في بناء هذه الآطام.

- **أنماط التكوين المعماري:**

جاءت الآطام أو الأطوم من حيث التكوين المعماري تنقسم إلى ثلاثة أنماط، والتي يمكن عرضها على النحو الآتي:

1- عبارة عن بيوت أو قصور مرتفعة على هيئة الحصون بملحقاتها، لذا فهي تصنف في العمارة السكنية، مثل آطام منازل قبائل الأنصار من الأوس، وهي: واقم، والرعل، والمسير، والريان، والشنيف [٢٨]وهذا النمط هو الغالب على بناء الآطام أو الأطوم.

2- عبارة عن حصون عالية منيعة خالية من البيوت، أو القصور، أي يشيدونها ويتحصنون فيها للقتال فقط، لذا فهي تصنف في العمارة الحربية، أو العسكرية، أو الدفاعية، فقد أورد السمهودي من هذا النمط أطم "صع ذرع"، وذلك بما نصه:"ونزل بنو خطمة...دارهم المعروفة بهم، وابتنوا بها الآطام، وغرسوا النخيل، فابتنوا بها أطمًا يقال له "صع ذرع" ليس فيه بيوت، جعلوه كالحصن الذي يتحصنون فيه للقتال، وكان لخطمة كلها، وكان موضعه عند مهراس بني خطمة، وإنما سمي "صع ذرع" لأنه كان عند بئر بني خطمة التي يقال لها ذرع" [٢٩]ومثل أطم المزدلف، الذي بناه عتبان بن مالك للحروب فقط.[٣٠]

3- عبارة عن حصون عالية منيعة تضم في داخلها البيوت، أو القصور، وأغلب الظن هي التي تتفق ومصطلح "الصياصي"، لذا فإن هذا النمط يجمع في آن واحد بين العمارتين السكنية والحربية، ويتمثل هذا النمط في آطام رحبة بني زيد بن مالك بن عوف، وهي "أربعة عشر أطمًا" يقال لها الصياصي، وهي آطام منازل قبائل الأنصار من الأوس.[٣١]

- **طرز التخطيط المعماري:**

جاءت هذه الآطام أو الأطوم من حيث التخطيط المعماري على ثلاثة طرز، والتي يمكن عرضها على النحو الآتي:

1- الطراز المعماري المربع الشكل، وهو الطراز الغالب على هذه الآطام سواء في المدينة، أو خارجها، وهي تتمثل في الآطام التي لم يرد فيها نص يخالف الشكل المربع مثل: آطام قبائل الأنصار من الخزرج، ومنها السنح، أو الريان، والأجرد، والشماخ.[٣٢]

2- الطراز المعماري المستطيل الشكل، فقد أورد السمهودي عند ذكره أطم "الضحيان" [٣٣]ما نصه:"وابتنى أحيحة بن الجلاح بالعصبة أطمًا يقال له "الضحيان" وهو الأطم الأسود الذي بالعصبة، وكان عرضه قريبًا من طوله، بناه أولاً من بئرة بيضاء فسقط، يعني من حجارة الحرار البيض. وكان يرى من المكان البعيد، وفيه يقول أحيحة:

وقد أعددت للحدثان حصنًا لو أن المرء تنفعه العقول

طويل الرأس أبيض مشمخر يلوح كأنه سيف صقيل [٣٤]

3- الطراز المعماري المستدير الشكل، مثل أطم أبي دجانة، الذي بقيت آثاره في المدينة حتى القرن الرابع عشر الهجري/العشرين الميلادي.[٣٥]

وفي هذا الإطار [٣٦]ذكر حسن الباشا أن هذه الآطام كانت في كثير من الأحيان ذات تخطيط مربع الشكل، ولم يذكر التخطيطين الآخرين، وهما: التخطيط المستطيل، والتخطيط المستدير.

- تكوينها من طبقات وغير ذلك:

كانت في معظمها من الناحية المعمارية تتألف من طبقات، حيث كانت تتسم بالفخامة والارتفاع، ولها آبار، ورحاب، وأسوار، ومداخل حصينة تعد من مكوناتها المعمارية، مثل الأطم الذي عند بئر عائشة الواقفي من آطام منازل قبائل الأنصار من الأوس.[٣٧]

- **تميزها بالسعة والضخامة:**

تميزت الآطام أو الأطوم في بعضها بالسعة والضخامة مثل آطام بني النضير، فقد أورد ابن هشام عند ذكره أمر إجلاء بني النضير ما نصه:"...وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم، والسير إليهم...فحاصرهم ست ليال...فتحصنوا منه في الحصون..."[٣٨].

وفي ذلك نقل عبيد مدني عن الواقدي أن النبي، صلى الله عليه وسلم، أرسل إليهم عبد الله بن أبي المنافق يقول:"...وأقيموا في حصونكم فإن معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصنكم..."، فجعلوا يتداولون الرأي فقال حيي بن أخطب"...نرم حصوننا ثم ندخل ماشيتنا وندرب أزقتنا وننقل الحجارة إلى حصوننا وعندنا من الطعام ما يكفينا سنة وماؤنا واتن في حصوننا – وتن الماء دام ولم ينقطع – لا نخاف قطعه فترى محمدًا يحصرنا سنة؟...".[٣٩]

- **سمات وخصائص أخرى:**

1- شيدت للقبيلة عامة، مثل آطام بني ناغصة، ومنها أطم الزبير، وأطم كعب بن أسد (بلحان) ؛[٤٠]أو لبعض البطون، مثل الأطم الذي كان في دار آل رويفع من آطام منازل الأنصار من الأوس[٤١]أو لبعض الأشخاص الذين باعدت بينهم الفوارق المالية والاجتماعية، والذين كان لبعضهم أطم، مثل أطم مزاحم لعبد الله بن أبي سلول من قبائل الأنصار من الخزرج[٤٢]أو أكثر من أطم مثل أحيحة بن الجلاح الذي بنى واقمًا، والضحيان.[٤٣]

2- لم تقتصر عمارتها بالمدينة على ما تمس إليه الضرورة، بل تعدتها إلى المباهاة في التظاهر والبروز بين رجالات المدينة في الجاهلية، مما يستلزم التأنق المعماري من جهة، والزخرفة من جهة أخرى، مثل الآطام التي عند بئر عذق، وغيرها.[٤٤]

3- عرفت في بعضها بأسماء بعض النساء مثل أطم الزاهرية، وهي المرأة التي سكنته.[٤٥]

4- كانت من الظواهر المميزة للمدينة سواء في الجاهلية، أو في الإسلام، فقد كانت تبعث في نفوس قاطنيها طمأنينة لم تعهد في غيرها من مدن الجزيرة العربية.

5- عرفت في الإسلام بعض الوظائف الأخرى مثل إعلان الأذان وإعلام المسلمين بدخول وقت الصلاة، شأنها في ذلك شأن المنارات، أو المآذن[٤٦]أو الصوامع[٤٧]أو المنار.

- **تاريخ وعمارة الآطام أو الأطوم في الجاهلية:**

قال ابن منظور في تعريف الجاهلية:"...والجاهلية: زمن الفترة ولا إسلام، وقالوا الجاهلية الجهلاء، فبالغوا...وفي الحديث: إنك امرؤ فيك جاهلية، هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله سبحانه ورسوله وشرائع الدين والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر وغير ذلك".[٤٨]

والجاهلية جاهليتان، الأولى ورد ذكرها في سورة الأحزاب، قال تعالى:"ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل"، وهي التي ولد فيها إبراهيم، عليه السلام، والأخرى القريبة من الإسلام، وهي التي ولد فيها النبي محمد، صلى الله عليه وسلم.[٤٩]

كانت الآطام أو الأطوم ذات نشأة عربية خالصة من قبل العماليق، فقد نقل السيد عبد العزيز سالم عن الحموي روايتين عن سكان المدينة والآطام، الأولى نصها:"...وكان أول من زرع بالمدينة واتخذ بها النخل وعمر بها الدور والآطام واتخذ بها الضياع العماليق وهم بنو عملاق بن أرفخشد بن سام بن نوح، عليه السلام...وكان ساكنو المدينة منهم بنو هف وسعد بن هفان وبنو مطرويل...وكان سبب نزول اليهود بالمدينة وأعراضها أن موسى بن عمران، عليه السلام...ثم بعث بعثًا آخر

إلى الحجاز إلى العماليق وأمرهم أن لا يستبقوا أحدًا ممن بلغ الحلم إلا من دخل في دينه...فهذا كان أول سكنى اليهود الحجاز والمدينة..."[٥٠].

ويتضح من خلال النص السابق – كما يذكر أحد الباحثين - أن أول من شيد الدور والآطام بالمدينة في الجاهلية هم "العماليق"، وهم بنو عملاق بن أرفخشد (أرفخشذ) بن سام بن نوح، عليه السلام، قبل وفود اليهود إليها.[٥١]

والرواية الأخرى نصها:"...فزعمت بنو قريظة...ثم إن الروم ظهروا على الشام فقتلوا من بني إسرائيل خلقًا كثيرًا فخرج بنو قريظة والنضير وهدل هاربين من الشام يريدون الحجاز الذي فيه بنو إسرائيل ليسكنوا معهم...وذكر بعض علماء الحجاز من اليهود أن سبب نزولهم المدينة أن ملك الروم حين ظهر على بني إسرائيل وملك الشام خطب إلى بني هارون وفي دينهم أن لا يزوجوا النصارى فخافوه وأنعموا له وسألوه أن يشرفهم بإتيانه، فأتاهم ففتكوا به وبمن معه ثم هربوا حتى لحقوا بالحجاز وأقاموا بها، وقال آخرون: بل علماؤهم كانوا يجدون في التوراة صفة النبي، صلى الله عليه وسلم، وأنه يهاجر إلى بلد فيه نخل بين حرتين، فأقبلوا من الشام يطلبون الصفة حرصًا منهم على اتباعه، فلما رأوا تيماء (وقيل المدينة) وفيها النخل عرفوا صفته وقالوا: هو البلد الذي نريده، فنزلوا..."[٥٢].

وتفصيل ما تقدم سواء فيما يتعلق بسكنى المدينة، أو الآطام عند ابن النجار يمكن عرضه على النحو الآتي:

قال ابن النجار:"قال أهل السير: كان أول من نزل المدينة بعد غرق قوم نوح (عليه السلام)، قوم يقال لهم صعل وفالج"[٥٣].

كما أورد ما نصه:"قالوا وكانت العماليق قد انتشروا في البلاد فسكنوا مكة والمدينة والحجاز كله"[٥٤].

كذلك أورد عند "ذكر سكنى اليهود الحجاز":"قال: وإنما كان سكن اليهود بلاد الحجاز أن موسى عليه السلام لما أظهره الله على فرعون وأهلكه وجنوده وطىء الشام وأهلك من بها وبعث بعثًا من اليهود إلى الحجاز وأمرهم ألا يستبقوا من العماليق أحدًا..."[٥٥].

وفي هذا الإطار أورد أيضًا:"قالوا: وكان هذا أول سكنى اليهود الحجاز بعد العماليق. وهم يجدون في التوراة أن نبيًا يهاجر من العرب إلى بلد فيه نخل بين حرتين فأقبلوا من الشام يطلبون صفة البلد، فنزل طائفة تيماء وتوطنوا نخلاً، ومضى طائفة فلما رأوا خيبر ظنوا أنها البلدة التي يهاجر إليها فأقام بعضهم بها ومضى أكثرهم وأشرفهم. فلما رأوا يثرب سبخة وحرة ونخلاً قالوا: هذا البلد الذي يكون له مهاجر النبي إليها فنزلوه فنزل النضير بمن معه بطحان [٥٦]فنزلوا منها حيث شاءوا وكان جميعهم بزهرة وهي محل بين الحرة والسافلة مما يلي القف [٥٧]وكانت لهم الأموال بالسافلة. ونزل جمهورهم بمكان يقال له يثرب بمجتمع السيول: سيل بطحان والعقيق وسيل قناة مما يلي رغاية".[٥٨]

مما تقدم يتضح – كما يذكر أحد الباحثين - أن اليهود فروا إلى الجزيرة العربية، فاستوطن بعضهم أخصب بقاع الحجاز في يثرب، وفدك، وخيبر، ووادي القرى، وتيماء، كما نزل بعضهم اليمن، وكان يعيش في يثرب عند هجرة اليهود إليها جماعات يهودية قديمة، فمجتمع يثرب في سنة ٧٠م كان يتألف من اليهود القدامى الذين تغلبوا على عماليق يثرب، ومن اليهود الجدد الذين اتخذوا من بلاد العرب دار هجرة أمام اضطهاد الرومان لهم.[٥٩]

وقد أورد ابن النجار أيضًا:""قال: وخرجت قريظة وإخوانهم بنو هذل وهدل وعمرو أبناء الخزرج بن الصريح بن التوم...والنضر بن النجار...بعد هؤلاء فتبعوا آثارهم فنزلوا بالعلية على واديين يقال لهما مذينيب (مذينب) [٦٠]ومهروز (مهزور) [٦١]فنزلت بنو النضير على مذينيب...ونزل قريظة وهذل على مهروز...وكانوا أول من احتفر بها الآبار واغترس الأموال وابتنوا الآطام والمنازل. قالوا: فجميع ما بنى اليهود بالمدينة تسعة وخمسون أطمًا. قال عبد العزيز بن عمران: وقد نزل المدينة قبل الأوس والخزرج أحياء من العرب منهم أهل التهمة تفرقوا جانب بلقيز إلى المدينة فنزلت بين مسجد الفتح إلى يثرب في الوطا وجعلت الجبل بينها وبين المدينة فأبرت الآبار والمزارع".[٦٢]

وقد ذكر عبد الله كامل أنه يتضح من هذا النص أن ابن النجار أشار إلى أن أول من شيد الآطام والمنازل في المدينة في الجاهلية هم اليهود على الرغم من أنه ذكر في نص سابق "وكانت العماليق قد انتشروا في البلاد، فسكنوا مكة والمدينة والحجاز كله"، وفي هذا الإطار أورد أيضًا في نص آخر سابق "قالوا: وكان هذا أول سكنى اليهود الحجاز بعد العماليق"، وهو الأمر الذي يدل بما لا يدع مجالاً للشك على أن العماليق قد سكنوا المدينة قبل اليهود سواء في نص ياقوت الحموي الذي تقدم ذكره، أو في نص ابن النجار هنا، مما يرجح رواية ياقوت الحموي أن أول من بنى الآطام بالمدينة هم العماليق وليس اليهود.[٦٣]

وأضاف أنه مما تقدم أيضًا يتضح أن اليهود فروا إلى الجزيرة العربية، فاستوطن بعضهم أخصب بقاع الحجاز في يثرب، وفدك، وخيبر، ووادي القرى، وتيماء، كما نزل بعضهم اليمن، وكان يعيش في يثرب عند هجرة اليهود إليها جماعات يهودية قديمة، فمجتمع يثرب في سنة ٧٠م كان يتألف من اليهود القدامى الذين تغلبوا على عماليق يثرب، ومن اليهود الجدد الذين اتخذوا من بلاد العرب دار هجرة أمام اضطهاد الرومان لهم.[٦٤]

- نشأة الآطام من قبل العماليق بالمدينة وتطورها:

ذكر أحد الباحثين أنه:"يتضح مما تقدم أن المؤرخين والجغرافيين اختلفوا حول أول من بنى الآطام، فقد رأى الحموي على سبيل المثال – كما تقدم - أن أول من بناها بالمدينة هم العماليق، ورأى ابن النجار على سبيل المثال أيضًا – كما تقدم أيضًا - أن أول من بناها بالمدينة هم اليهود، وذلك على الرغم من أنه ذكر في نصين أن العماليق قد سكنوا المدينة قبل اليهود، مما جعلنا نرجح رواية الحموي أن العماليق هم أول من بنوا الآطام بالمدينة".[٦٥]

وقد ناقش عبيد مدني، ومن بعده حسن الباشا، ومن بعدهما محمد عبد الستار عثمان هذا الموضوع، وانتهوا إلى أن العماليق هم أول من بنى الآطام بالمدينة، وفي هذا الإطار تطرق عبيد مدني إلى نص ابن رسته (المتوفى بعد سنة ٢٩٠هـ/٩٠٣م)، وغيره:"فكانت هذه القبائل من بني إسرائيل والأحياء الذين ذكروا معهم قد اتخذوا بالمدينة الآطام"، وأفاد بما نصه:"وهو نص وإن كان صريحًا باتخاذهم (اليهود) الآطام فهو يشرك معهم الأحياء العربية الأخرى ولا يدل على أنهم السابقون إليها. ألم تر إلى ابن رسته نفسه كيف يقول:"... وأقامت الأوس والخزرج واتخذوا الأموال والآطام..."[٦٦].

ويرجح أحد الباحثين ما انتهى إليه عبيد مدني، ثم محمد عبد الستار عثمان في هذا الشأن من منظور ما تقدم من تعليق على نصوص الحموي وابن النجار.[٦٧]

وقد كان إجمالي ما شيد من آطام يهودية بالمدينة كما تقدم "تسعة وخمسون أطمًا"، ويفرق النص هنا بين الآطام والمنازل، مما يدل على أن الآطام كانت تتخذ صفة الحصون المنيعة، وكانت كما تقدم على طراز معماري مربع الشكل، أو مستطيل الشكل، أو مستدير الشكل، وفي الحالات الثلاث من سقف مسطح خشبي، وفي هذا الإطار أيضًا أورد ابن النجار عند ذكره نزول أحياء من العرب على يهود الآطام العربية قبل نزول الأوس والخزرج، وذلك بما نصه:"قالوا: وكان بالمدينة قرى وأسواق من يهود بني إسرائيل، وكان قد نزلها عليهم أحياء من العرب فكانوا معهم وابتنوا الآطام والمنازل قبل نزول الأوس والخزرج. وهم بنو أنيف حي من بلي، ويقال إنهم من بقية العماليق، وبنو مريد حي من بلي وبنو معاوية بن الحارث بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، وبنو الجذما حي من اليمن".[٦٨]

وفي هذا الإطار ذكر محمد عبد الستار عثمان[٩]أن الإحصاءات التي وردت في المصادر تشير إلى أعداد كبيرة من الآطام، فقد بلغ عدد الآطام في المدينة "مائة وتسعة وتسعين أطمًا"، وقد نسب المؤرخون منها "مائة وسبعة وعشرين" للأنصار، وإلى من كان بالمدينة من العرب الذين كانوا نازلين بها "أحد عشر"، وإلى اليهود اللاجئين إليها "تسعة وخمسين" أطمًا.

والواقع أنه على الرغم من صحة العدد الكلي لهذه الآطام، إلا أن الترتيب التاريخي من جهة، وتفصيل العدد الكلي من جهة أخرى غير صحيح، حيث إن الآطام اليهودية يجب أن تأتي في المقدمة من منظور أنها الأقدم، ثم تأتي آطام القبائل العربية معاصرة للآطام اليهودية، لأن هذه القبائل عاشت في المدينة مع اليهود، وفي هذا الصدد فإن هذه الآطام كانت "ثلاثة عشر أطمًا"، وليست "أحد عشر أطمًا"، وذلك حتى يستقيم العدد الكلي الصحيح، ثم تأتي بعد ذلك آطام الأوس والخزرج.[٧٠]

وكانت الآطام بالنسبة لأهل المدينة تمثل عزًا ظاهرًا من الناحية السكنية في الجزيرة العربية من جهة، كما كانت تمثل استحكامات حربية منيعة وقوية لهم أمام أعدائهم من جهة أخرى، مما جعلها من أهم سمات وخصائص المدينة، وهو الأمر الذي عبر عنه ابن النجار بجلاء في قوله:"قالوا: وكانت الآطام عز أهل المدينة ومنعتهم التي يتحصنون فيها من عدوهم، فكان منهم من يعرف اسمه، ومنها ما لا يعرف اسمه، ومنها ما يعرف باسم سيده، ومنها ما لا يدرى لمن كان، ومنها ما ذكر في الشعر، ومنها ما لم يذكر...".[٧١]

- المحور الثالث: تاريخ وعمارة الآطام في الحضارة الإسلامية:

أورد البخاري في كتاب فضائل المدينة، في باب آطام المدينة:"حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا ابن شهاب قال: أخبرني عروة سمعت أسامة رضي الله عنه قال: أشرف النبي على أطم من آطام المدينة فقال: "هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر". تابعه معمر وسليمان بن كثير عن الزهري".[٧٢]

ويرد ذكر أحد الآطام العالية اليهودية بالمدينة في رواية ابن النجار عند وصول الرسول، صلى الله عليه وسلم، المدينة، وذلك بما نصه:"ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارًا قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياب بياض وسمع المسلمون بالمدينة بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يومًا بعد أن طال انتظارهم فلما أووا إلى بيوتهم رقي رجل من يهود أطمًا من آطامهم لأمر ينظر إليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين – أي عليهم الثياب البيض - فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرونه، فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول".[٧٣]

وقد أورد السمهودي ذكر قدوم النبي، صلى الله عليه وسلم، المدينة في أثناء تشييد آخر أطم بها، وهو أطم "معرض"، وذلك بما نصه:"ونزل بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج...في أربع منازل: فنزل بنو عمرو وبنو ثعلبة...قال ابن زبالة: فابتنوا أطمًا يقال له "معرض" في الدار المواجهة مسجد بني ساعدة، وهو آخر أطم بني بالمدينة، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يبنونه، فاستأذنوه في إتمامه، فأذن لهم فيه، وله يقول شاعرهم:

ونحن حمينا عن بضاعة كلها ونحن بنينا معرضًا فهو مشرف

فأصبح معمورًا طويلاً فدى له وتخرب آطام بها وتصفصف [٧٤]

ويشير استئذان بني ساعدة من الرسول، صلى الله عليه وسلم، في إتمام بناء هذا الأطم إلى أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، كان قد نهى عن بناء آطام جديدة بالمدينة، وفي الوقت نفسه نهى عن هدمها.[٧٥]

هذا وقد أذن بلال - أول مؤذن في الإسلام -، رضي الله عنه، من على أطم، قال ابن منظور كما تقدم:"... وفي حديث بلال: أنه كان يؤذن على أطم، الأطم، بالضم: بناء مرتفع...".

ويرد ذكر الآطام بالمدينة عند ابن النجار عند ذكر "حفر النبي صلى الله عليه وسلم الخندق حول المدينة"، وذلك بما نصه:"وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة آلاف حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع [٧٦]وضرب عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنساء فجعلوا في الآطام".[٧٧]

ولم يشيد النبي، صلى الله عليه وسلم، أطمًا أو حصنًا في المدينة، كما لم يشيد الخلفاء الراشدون، رضي الله عنهم، آطامًا أو حصونًا بالمدينة، أو غيرها من مدن، وقرى، ومواضع الجزيرة العربية.[٧٨]

- اندثار الآطام أو الأطوم في العصر الإسلامي:

استمرت الآطام قرونًا طويلة تؤدي كل المتطلبات التي شيدت من أجلها، ولكن تراجع دورها الحربي بعد غزوتي الخندق وبني قريظة (٥هـ/٦٢٧م)، وكان أن أخربت في عهد الخليفة عثمان بن عفان (٢٤-٣٥هـ/٦٤٥-٦٥٦م)، رضي الله عنه.[٧٩] ويرى محمد عبد الستار عثمان أن هذا الرأي يحتاج إلى مراجعة، من منطلق أن هذه الآطام مع مرور الزمن من جهة، وعدم قيامها بوظائفها الأساسية من جهة أخرى، كان من الطبيعي أن تتعرض لعامل الهدم والتدمير، بالإضافة إلى استبدال هذه الآطام بمنشآت أخرى في أفنيتها كالدور، والمساجد، وغير ذلك، وأصبحت مع ازدياد عمران المدينة بازدياد أعداد المهاجرين إليها، والمجاورين، والحجاج، والمعتمرين حدثًا متكررًا تؤكده روايات المؤرخين طوال العصور الإسلامية حتى العصر الحديث، حيث كانت بعض أطلالها قائمة كما تقدم.[٨٠]

- المحور الرابع: أثر تربيع الكعبة والآطام أو الأطوم على بعض القصور والمنارات في عصر الخلفاء الراشدين:

تقدم أن الكعبة المشرفة – لغة وعمارة – كانت عبارة عن تكوين معماري مربع الشكل، وأن النصوص التاريخية قد أكدت على أن هذا التربيع قد أثر على العديد من المباني التي شيدت داخل وخارج الجزيرة العربية سواء قبل أو بعد الإسلام، ومن أهم هذه المباني على وجه الإطلاق الآطام (الجمع القليل)، أو الأطوم (الجمع الكثير)، والتي كانت تقام عند العيون وآبار المياه على طول طرق القوافل الممتدة عبر الجزيرة العربية، حيث جاءت هذه الآطام أو الأطوم – كما تقدم - من حيث التخطيط المعماري على ثلاثة طرز، وذلك على النحو الآتي:

1- الطراز المعماري المربع الشكل، وهو الطراز الغالب على هذه الآطام سواء في المدينة، أو خارجها، وهي تتمثل في الآطام التي لم يرد فيها نص يخالف الشكل المربع مثل: آطام قبائل الأنصار من الخزرج، ومنها السنح، أو الريان، والأجرد، والشماخ.

2- الطراز المعماري المستطيل الشكل، فقد أورد السمهودي عند ذكره أطم "الضحيان" ما نصه:"وابتنى أحيحة بن الجلاح بالعصبة أطمًا يقال له "الضحيان" وهو الأطم الأسود الذي بالعصبة، وكان عرضه قريبًا من طوله، بناه أولاً من بئرة بيضاء فسقط، يعني من حجارة الحرار البيض. وكان يرى من المكان البعيد، وفيه يقول أحيحة:

وقد أعددت للحدثان حصنًا لو أن المرء تنفعه العقول
طويل الرأس أبيض مشمخر يلوح كأنه سيف صقيل

3- الطراز المعماري المستدير الشكل، مثل أطم أبي دجانة، الذي بقيت آثاره في المدينة حتى القرن الرابع عشر الهجري/العشرين الميلادي.

وهو الأمر الذي يتضح في ضوئه أن معظم الآطام أو الأطوم كانت على الطراز المعماري المربع الشكل، والذي يعد امتدادًا للتكوين المعماري المربع للكعبة المشرفة.

- عمارة قصر عبد الله بن عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط بمصر على غرار تربيع الكعبة الأولى:

أمدنا المؤرخ ابن عبد الحكم (المتوفى سنة ٢٥٧هـ/٨٦٧م) عند ذكره "الخطط" بنص في غاية الأهمية نتبين منه أهمية تربيع الكعبة المشرفة الأولى بالنسبة للعرب المسلمين، بحيث تأثروا بها في بعض عمائرهم التي شيدها خارج الجزيرة العربية سواء أكانت مدنية، أو غير مدنية، حيث أورد ما نصه:"واختط عبد الله ابنه (عمرو بن العاص) هذه الدار الكبيرة التي عند المسجد الجامع وهو الذي بناها هذا البناء وبنى فيها قصرًا على تربيع الكعبة الأولى...".[٨١]

أما الفسطاط فتقع على الشاطىء الشرقي للنيل بمصر بجوار حصن بابليون، شيدها والي مصر القائد عمرو بن العاص بعد عودته من الإسكندرية في سنة (٢١هـ/٦٤٢م)، وهي تعد المدينة الثالثة التي مصرت خارج الجزيرة العربية بعد مدينتي البصرة حوالي سنة (١٤هـ/٦٣٥م) والكوفة حوالي سنة (١٧هـ/٦٣٨م)، وقد اختلفت الروايات التاريخية والآراء في أصل كلمة الفسطاط.[٨٢]

أما المسجد الجامع فقد شيده عمرو بن العاص بالفسطاط، قال ابن عبد الحكم:"وبنى عمرو بن العاص المسجد كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن الليث بن سعد وكان ما حوله حدائق وأعنابًا فنصبوا الحبال حتى استقام لهم ووضعوا أيديهم فلم يزل عمرو قائمًا حتى وضعوا القبلة وأن عمرًا وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين وضعوها واتخذ فيه منبرًا".[٨٣]

- أثر تربيع الكعبة والآطام على منارات الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) في المسجد النبوي بالمدينة (٢٩-٣٠هـ/٦٤٩-٦٥٠م):

- لفظ "منارة":

من الألفاظ والاصطلاحات التي أطلقت على "المئذنة"، أو "المؤذنة"، أو "الصومعة"، أو "المنار" لفظ "منارة"، و"المنارة" لغة: من نور، قال ابن منظور:"وأنار المكان: وضع فيه النور...والمنار والمنارة: موضع النور. والمنارة: الشمعة ذات السراج. ابن سيده: والمنارة التي يوضع عليها السراج".[٨٤]

وأضاف:"ويقال للمنارة: المئذنة والمؤذنة، قال ابن منظور:"والمئذنة: موضع الأذان للصلاة. وقال اللحياني: هي المنارة، يعني الصومعة. أبو زيد: يقال للمنارة المئذنة والمؤذنة...".[٨٥]

هذا وقد نقل عبد الله كامل [٨٦]عن المؤرخ يحيى بن الحسين (المتوفى سنة ١٠٨٠هـ/١٦٦٩م) نصًا في غاية الأهمية يتعلق بعمارة الخليفة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، فى المسجد النبوي بشكل عام، وبناء المنارات للأذان بشكل خاص في سنة (٢٩-٣٠هـ/٦٤٩-٦٥٠م)، حيث قال:"زاد عثمان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الزيادة العظيمة وجعل طوله مائة وستين ذراعًا وعرضه مائة وخمسين ذراعًا، وحملت له الحجارة من بطن نخل، ووضع في عمده الرصاص، وجعل أبوابه ستة على ما كانت عليه فى عهد عمر، ومن مآثر عثمان بناء المنارات للأذان، وكانت فى زمنه مربعة الشكل...".[٨٧]

وأضاف أنه يتضح من النص السابق أن الخليفة عثمان، رضي الله عنه، قد آثر هدم المسجد النبوي بالكامل، وإعادة بنائه من جديد، فأدخل عليه بعض وحدات، وعناصر، وسمات، وخصائص جديدة معمارية ووزخرفية، وذلك لتعظيم المساجد من جهة، وإعزاز دين الله من جهة أخرى، ويمكن حصر هذه الوحدات، والعناصر، والسمات، والخصائص على النحو الآتي:

- تشييد جدرانه بالحجارة المنقوشة (المزخرفة).
- إقامة عمده من الحجارة المنقوشة (المزخرفة) على قدر النخل لحمل السقف مباشرة على أوتار أو عوارض خشبية.
- بياض المسجد بالقصة، مما يدل على أن المسجد اكتسب رونقًا وبهاءًا.
- تسقيف المسجد بخشب الساج الهندي.
- بناء المنارات (المآذن - المنار - الصوامع) المربعة الشكل للأذان.
- استحداث بناء المقصورة من اللبن بسبب الدواعي الأمنية.

- استخدام النوافذ المرتفعة في الجدارين الشرقي والغربي.
- فرش المسجد بحصباء وادي العقيق.[٨٨]

و أضاف أيضًا أنه يطمئن لما أورده المؤرخ يحيى بن الحسين عن المنارات في تلك الفترة الهامة والمبكرة من تاريخ العمارة الإسلامية بشكل خاص، وعن عمارة المسجد النبوي بشكل عام على الرغم من أنه لم يذكر لنا المصادر التي استقى منها معلوماته، شأنه في ذلك شأن معظم المؤرخين اليمنيين، وهو الأمر الذي يتضح في ضوئه أن معمار الخليفة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، قد تأثر عند تشييده المنارات في المسجد النبوي بالتكوين المعماري المربع الشكل للكعبة المشرفة من جهة، والآطام أو الأطوم من جهة أخرى.[٨٩]

- تأصيل الشكل المربع لمنارات الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) في المسجد النبوي:

كان من الطبيعي – كما ذكر أحد الباحثين - أن تتبلور فكرة المئذنة معماريًا في تكوين معماري بسيط للغاية، ومن ثم بدأ المسلمون يفكرون في مكان الأذان، فإنه من المعروف أنه كلما كان الأذان معلنًا من مكان مرتفع، كلما صار مسموعًا لمسافة أبعد، ولعدد أكبر، وفي هذا الإطار زودنا ابن سعد بمرحلتين لإعلان الأذان، إحداهما تتمثل في إعلان الأذان من فوق أطول بيت حول المسجد، والأخرى من فوق ظهر المسجد، وذلك بما نصه:"أخبرني من سمع النوار أم زيد ابن ثابت تقول كان بيـــتي أطول بيت حول المسجد، فكان بلال يؤذن فوقه من أول ما أذن إلى أن بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده، فكان يؤذن بعد على ظهر المسجد وقد رفع له شيء فوق ظهره".[٩٠]

ويذكر السمهودى نقلاً عن ابن زبالة مرحلة أكثر تطورًا واستقلالية عن مكان الأذان، وهي مرحلة انتقلت فيها المئذنة من مجرد كتلة معمارية بسيطة للغاية تعلو جدار مسجد الرسول، صلى الله عليه وسلم، لتأدية وصول الأذان إلى المسلمين إلى مرحلة تميزت فيها المئذنـــــــة بكيان معماري مستقل يعد النواة الأولى لنشأة المئذنة خلال عصر الرسول، صلى الله عليـــه وسلم، حيث أورد مانصه:"كان في دار عبد الله بن عمر أسطوان في قبلة المسجد يؤذن عليها بلال يرقى إليها بأقتاب، والأسطوان مربعة قائمة إلى اليوم يقال لها المطمار، وهي فـــــي منزل عبيد الله بن عبد الله بن عمر".[٩١]

وفي هذا الصدد ذكر أحد الباحثين أن المطمار من الناحية المعمارية كان عبارة عن تكوين معماري مربع الشكل من قاعدته إلى أعلاه، يرقى إليه المؤذن من خلال أقتاب (درجات)، تلتصق به من إحدى جهاته الأربع، وكان خارجًا عن مسجد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو الأمر الذي اتفق عليه ابن النجار والسمهودي.[٩٢]

الخاتمة:

بعد دراسة موضوع "أثر تربيع الكعبة والآطام قبل الإسلام على بعض القصور والمنارات الإسلامية" "دراسة تاريخية حضارية"، أخلص إلى بعض النتائج، والتي يمكن عرضها على النحو الآتي:

- ألقت الباحثة الضوء في المحور الأول على تربيع الكعبة الأولى قبل الإسلام من خلال النصوص التاريخية.
- ألقت الباحثة الضوء في المحور الثاني على الآطام أو الأطوم لغة واصطلاحًا، وفي هذا الإطار تناولت المصطلحات التي ارتبطت بهذه الآطام، والتي تنحصر في البيوت، والقصور، والحصون، والصياصي.
- ألقت الباحثة الضوء على سمات وخصائص هذه الآطام سواء من حيث المادة البنائية، أو أنماط التكوين المعماري، أو الطرز المعمارية، أو غير ذلك.
- ألقت الباحثة الضوء على بعض الآطام التي عرفت في الإسلام بعض الوظائف الأخرى مثل إعلان الأذان، وإعلام المسلمين بدخول وقت الصلاة، شأنها في ذلك شأن المنارات، أو المآذن، أو الصوامع، أو المنار.
- تطرقت الباحثة إلى آخر أطم شيد في المدينة قبل الإسلام، وهو أطم "معرض" في الدار المواجهة لمسجد بني ساعدة.

- تناولت الباحثة في المحور الثالث الآطام في صدر الإسلام، ثم تأثرها بعد غزوتي الخندق وبني قريظة (٥هـ/٦٢٧م).
- تناولت الباحثة تأثر عمارة قصر عبد الله بن عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط بمصر بتربيع الكعبة الأولى.
- تناولت الباحثة - ما ذكره أحد الباحثين – من أثر تربيع الكعبة، والآطام، والمطمار على منارات الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) في المسجد النبوي بالمدينة المنورة (٢٩-٣٠هـ/٦٤٩-٦٥٠م).

- ملاحق البحث:

- ملحق (١):

موقع منطقة المدينة المنورة بالنسبة للمملكة العربية السعودية عن وكالة الآثار والمتاحف، آثار منطقة المدينة المنورة، سلسلة آثار المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م

- ملحق (٢):

حرة خيبر عن وكالة الآثار والمتاحف، آثار منطقة المدينة المنورة

- ملحق (٣):

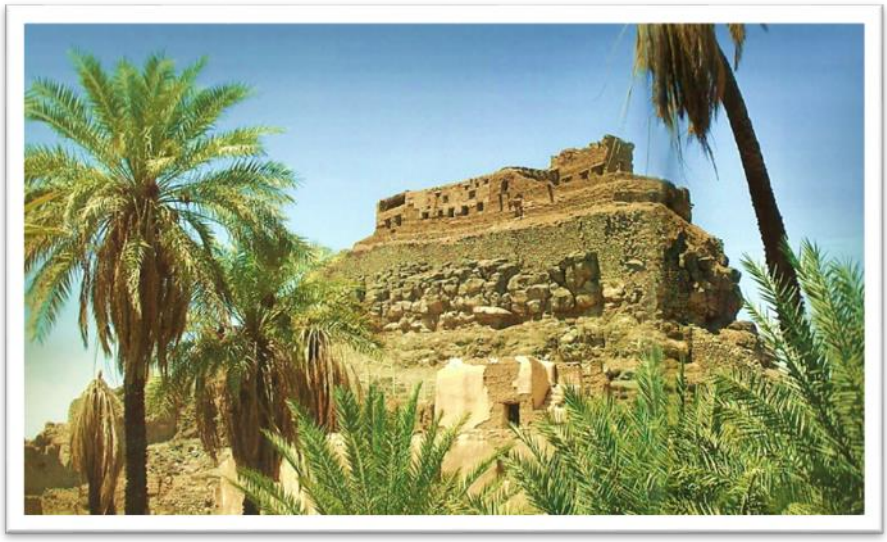

حصن مرحب عن وكالة الآثار والمتاحف، آثار منطقة المدينة المنورة

- ملحق (٤):

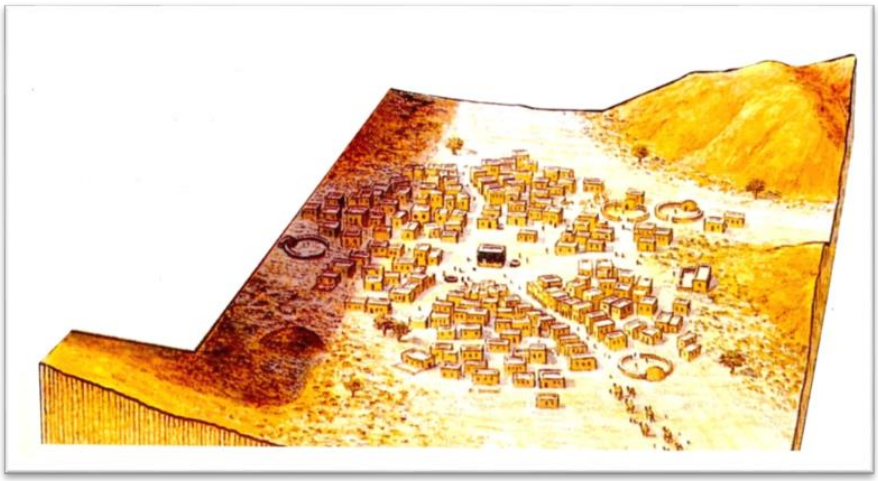

رسم تخيلي لمكة المكرمة قبل الهجرة النبوية نقلها ناصر الحارثي عن مطوية رسومات تخيلية لمكة المكرمة

- ملحق (٥):

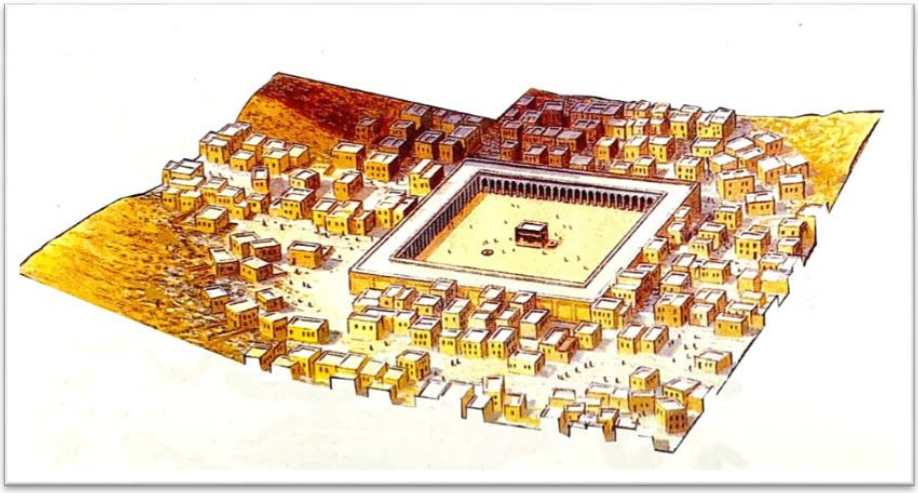

رسم تخيلي لمكة المكرمة في أواخر القرن الأول الهجري نقلها ناصر الحارثي عن مطوية رسومات تخيلية لمكة المكرمة

- ملحق (٦):

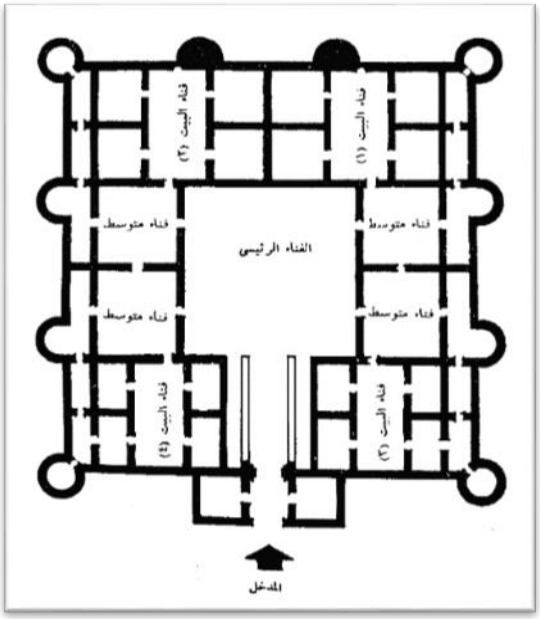

تصور لقصر عبد الله بن عمرو بن العاص بالفسطاط عن فريد شافعي

- ملحق (٧):

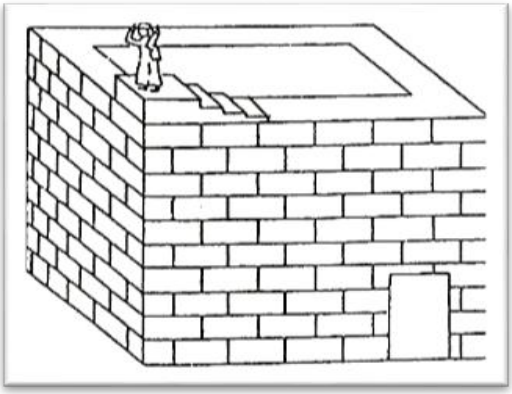

تصور معماري للكتلة المعمارية المربعة الشكل التي كانت تعلو أحد أركان المسجد النبوي عن عبد الله كامل

- ملحق (٨):

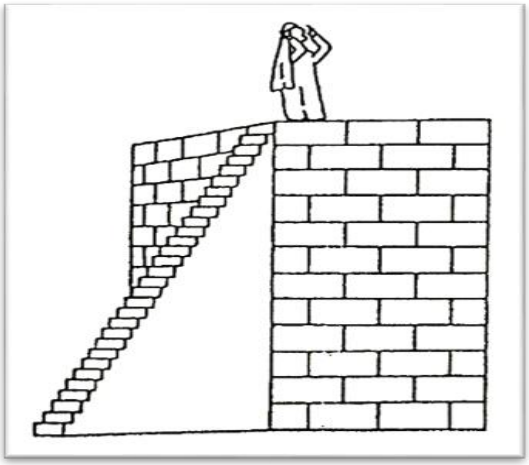

تصور معماري للأسطوان المربعة "المطمار" عن عبد الله كامل

- الهوامش والتعليقات:

[١] مزيد من التفاصيل عن مكة المكرمة سواء من حيث النشأة، أو التطور أنظر:
الحارثي، ناصر بن علي، الآثار الإسلامية في مكة المكرمة، ط١، الرياض، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، صص١٧-٨٩.
بكة: مكة: أنظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط٣، جمهورية مصر العربية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج١، ص٦٩.

[٢] ابن سيده، ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م، المحكم والمحيط الأعظم، طبعة جديدة تنقيح وفهرسة عبد الفتاح السيد سليم، وفيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، مج١، ج١، ص١٧٠.

[٣] ابن منظور، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، ت٧١١هـ/١٣١١م، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٨، ٢٠١٤م، مج١٣، صص٧٦-٧٧.

[٤] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج٢، صص٨٢١-٨٢٢.

[٥] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج١، صص٣٣٦-٣٣٧.

[٦] الزركشي، محمد بن عبد الله، ت٧٩٤هـ/١٣٩١م، إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغي، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط٣، القاهرة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، صص٥٩-٦٠.

[٧] المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله، ت٣٨٠هـ/٩٩٠م، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٧١.

[٨] ابن عبد الحكم، أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشى المصري، ت ٢٥٧هـ/٨٦٧م، فتوح مصر وأخبارها (صفحات من تاريخ مصر – ١٠)، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٩٧.

[٩] الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م، معجم البلدان، دار صادر، ط٢، بيروت، ١٩٩٥م، مج٤، صص٤٦٣-٤٦٥.

[١٠] ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، مج٢، ج٩، صص١٧١-١٧٢.

[١١] الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٢١٩.

[١٢] ابن منظور، لسان العرب، مج١، ص١١٩.

[١٣] ابن منظور، لسان العرب، مج٤، ص١٤٤.

[١٤] مدني، عبيد، أطوم المدينة المنورة، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، المجلد الثالث، السنة الثالثة، ١٣٩٣-١٣٩٤هـ/١٩٧٣-١٩٧٤م، صص٢١٥-٢١٦.

[١٥] مدني، أطوم المدينة المنورة، ص٢١٣.

[١٦] ذكر مدني أن القرآن الكريم – والله أعلم – أشار إلى الآطام بالحصون، وفي هذا الإطار ذكر عثمان أن لفظ حصن هو الذي ورد في القرآن الكريم ليشير إلى آطام المدينة.
عثمان، محمد عبد الستار، آطام المدينة المنورة، موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٨٥.

[١٧] ابن منظور، لسان العرب، مج٨، ص٣١٥.

[١٨] السمهودي، نور الدين علي بن أحمد، ت٩١١هـ/١٥٠٦م، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، حققه، وفصله، وعلق حواشيه، محمد محي الدين عبد المجيد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م، ج١، صص١٩٠-١٩١.

[١٩] أنظر عن مصطلح القصر في العمارة الإسلامية: غالب، عبد الرحيم، موسوعة العمارة الإسلامية عربي – فرنسي – إنكليزي، ط١، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٣١٥، رزق، عاصم محمد، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، ٢٠٠٠م، صص٢٣٨-٢٤٠.

[٢٠] ابن منظور، لسان العرب، مج١٢، ص١١٧.

[٢١] ذكر الراشد أن الجزيرة العربية قد اشتهرت منذ أمد بعيد بالقصور، والحصون، والآطام، والقلاع، والمحافد، وورد ذكرها في الشعر العربي، وقد انتشرت هذه المباني الحصينة في الجزيرة العربية، وظل بعضها باقيًا حتى ظهور الإسلام، وشاهد بقاياها الجغرافيون المسلمون، ويأتي في مقدمتهم العلامة الهمداني، التي استعرض بعضها خاصة تلك التي شاهدها في اليمن ومنطقة اليمامة، فقد كانت هذه المباني في غاية من المنعة لسماكة بنائها.

مزيد من التفاصيل أنظر: الراشد، سعد عبد العزيز، الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم)، الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص١٥٤.

[٢٢] ابن منظور، لسان العرب، مج١، ص١١٩.

[٢٣] عثمان، آطام المدينة المنورة، ص٨٧.

[٢٤] السمهودي، وفاء الوفا، ج١، ص١٩٤.

[٢٥] أنظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج١، ص٢٠.

[٢٦] عثمان، آطام المدينة المنورة، ص٨٧.

[٢٧] السمهودي، وفاء الوفا، ج١، ص١٩٠.

[٢٨] السمهودي، وفاء الوفا، ج١، صص١٩٠-١٩٣.

[٢٩] السمهودي، وفاء الوفا، ج١، صص١٩٦-١٩٧.

[٣٠] السمهودي، وفاء الوفا، ج١، ص١٩٩.

[٣١] السمهودي، وفاء الوفا، ج١، ص١٩٣.

[٣٢] السمهودي، وفاء الوفا، ج١، صص١٩٨-١٩٩.

[٣٣] ذكر عثمان أن من الآطام ما كان مستدير الشكل مثل أطم الضحيان، الذي بقيت آثاره في المدينة حتى القرن الرابع عشر الهجري/العشرين الميلادي، وهذا يخالف وصف هذا الأطم في المصادر.

عثمان، آطام المدينة المنورة، ص٩٧.

[٣٤] السمهودي، وفاء الوفا، ج١، ص١٩٤.

[٣٥] عثمان، آطام المدينة المنورة، ص٩٧.

[٣٦] ا الباشا، حسن، مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ص٢٤.

[٣٧] السمهودي، وفاء الوفا، ج١، ص١٩٦.

[٣٨] ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، ت ٢١٨هـ/٨٣٣م، السيرة النبوية، علق عليها، وخرج أحاديثها، وصنع فهارسها عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط٥، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج٣، ص١٤٤.

[٣٩] مدني، أطوم المدينة المنورة، صص٢١٧-٢١٨.

[٤٠] السمهودي، وفاء الوفا، ج١، ص١٦٣.

[٤١] السمهودي، وفاء الوفا، ج١، ص١٩٦.

[٤٢] السمهودي، وفاء الوفا، ج١، ص٢٠٠.

[٤٣] السمهودي، وفاء الوفا، ج١، ص١٩٤.

[٤٤] السمهودي، وفاء الوفا، ج١، صص١٦٢-١٦٣.

[٤٥] السمهودي، وفاء الوفا، ج١، ص٢١٣.

[٤٦] أنظر عن مصطلحات المنارات، والمآذن، والصوامع، والمنار: دللي، ولفرد جوزف، العمارة العربية بمصر في شرح المميزات البنائية الرئيسية للطراز العربي، ترجمة محمود أحمد، أشرف على إعداد هذه الطبعة وقدم لها محمد أبو العمائم، سلسلة الألف كتاب الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الأعمال المختارة، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٦٨، موسى، عبد الله كامل، المآذن في العمارة المصرية والعالم الإسلامي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط١، الإسكندرية، ٢٠١٤م، مج٢، صص٩-١٨.

[٤٧] يعد هذا اللفظ من الألفاظ التي أطلقت على المئذنة قال ابن منظور:"المئذنة موضع الأذان للصلاة وقال اللحياني: هى المنارة يعني الصومعة".

ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص ٥٣،

Creswell, (K.A.C), The Evolution Of the minaret, with Special Reference to Egypt-III, The Burlington Magazine for Connoisseurs, Jun, 1926, P.1, Behrens-Abouseif, Doris, The Minarets of Cairo, The American University in Cairo Press, 2010, p.11, Bloom, Jonathan, Minaret: Symbol of Islam, Published by Oxford University Press, 1989, PP.29-31.

[٤٨] ابن منظور، لسان العرب، ج٣، صص٢٢٨-٢٢٩.

[٤٩] سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص١٣.

[٥٠] الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص٨٤، سالم، تاريخ العرب، ص٣٩١.

أنظر أيضًا: السمهودي، وفاء الوفا، ج١، ص١٥٧.

في هذا الصدد ذكر عثمان ثلاث روايات، رواية ياقوت الحموي التي نحن بصددها، ورواية لابن خلدون، ورواية للسمهودي.

مزيد من التفاصيل أنظر: عثمان، آطام المدينة المنورة، صص٨٧-٨٨.

[٥١] عبده، عبد الله كامل موسى، آطام المدينة بالجزيرة العربية في الجاهلية والإسلام "دراسة آثارية حضارية"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، العدد الخامس – أكتوبر ٢٠١٨م، جامعة بني سويف، كلية الآداب، قسم التاريخ، ص٩٤.

[٥١] عبده، آطام المدينة، صص٩٦-٩٧.

[٥٢] الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص٨٤.

ذكر سالم أن جواد علي يستبعد الرواية الأولى لافتقارها إلى سند، ويميل إلى الأخذ برواية بني قريظة، إذ تتضمن شيئًا من الحق.

مزيد من التفاصيل أنظر: سالم، تاريخ العرب، ٣٩١.

[٥٣] ابن النجار، أبو عبد الله البغدادي، ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م، الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، من تراث الجزيرة العربية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٣٥. أنظر أيضًا: السمهودي، وفاء الوفا، ج١، ص١٥٨.

[٥٤] ابن النجار، الدرة الثمينة، ص٣٥.

[٥٥] ابن النجار، الدرة الثمينة، ص٣٦.

[٥٦] بطحان: بالضم ثم السكون، أحد أودية المدينة الثلاثة، وهي العقيق، وبطحان، وقناة.

مزيد من التفاصيل أنظر: الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٤٤٦.

[٥٧] أنظر عن القف: الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٣٨٣.

[٥٨] ابن النجار، الدرة الثمينة، ص٣٧.

[٥٩] عبده، آطام المدينة، ص٩٥.

أدت الثورات التي قام بها اليهود في أورشليم على الرومان إلى قيام هؤلاء بتشتيتهم وطردهم من فلسطين، وتهديم معبدهم على يد الإمبراطور الروماني طيطس في سنة ٧٠م.

مزيد من التفاصيل أنظر: علي، جواد، تاريخ العرب قبل الإسلام، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٥٠-١٩٥٩م، ج٤، ص١٧٨، سالم، تاريخ العرب، صص٣٩٢-٣٩٣.

[٦٠] مذينب: واد بالمدينة. مزيد من التفاصيل أنظر: الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص٩١.

[٦١] ذكر ياقوت الحموي مهزور بفتح أوله، وسكون ثانيه ثم زاي، وواو ساكنة، وراء، وذكر مهزور ومذينب: واديان يسيلان بماء المطر خاصة.

مزيد من التفاصيل أنظر: الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص٢٣٤.

[٦٢] ابن النجار، الدرة الثمينة، صص٣٧-٣٨.

[٦٣] عبده، عبد الله كامل موسى، آطام المدينة، ص٩٦.

[٦٤] عبده، آطام المدينة، صص٩٦-٩٧.

[٦٥] عبده، آطام المدينة، ص٩٧.

[٦٦] في هذا الإطار أيضًا ذكر مدني أن دائرة المعارف الإسلامية المترجمة سارت مع هذا الوهم الذي ينسب الآطام في نشأتها لليهود، وألقت التبعة فيه على كتاب العرب دون تمحيص ولا تعيين الذين أكدوه ولا كيف أكدوه، وعلقت عليه بملاحظة مرتبكة الأداء، وأضاف مدني أن إسرائيل ولفنسون المؤرخ اليهودي لم يجزم في هذا الأمر، ولكنه يرجح أن فكرة إقامة الحصون والآطام في شمال الجزيرة العربية على قمم الجبال أتى بها اليهود، وهذا سبب لا يكفي لدعم الترجيح في رأي مدني، حيث يرد بأنه إن انطبق ما قاله ولفنسون عن مواقع بعض الآطام في شيء من المنطقة الشمالية من أنها أقيمت، أو أقيم قسم منها على رؤوس الجبال فلا ينطبق ذلك على آطام المدينة التي تقف على السهول وأطراف الحرار.

مزيد من التفاصيل أنظر: مدني، أطوم المدينة المنورة، صص٢٢٠-٢٢٢.

[٦٧] عبده، آطام المدينة، صصص٩٧-٩٨.

[٦٨] ابن النجار، الدرة الثمينة، صص٣٨-٣٩، عبده، آطام المدينة، ص٩٨.

[٦٩] عثمان، آطام المدينة المنورة، ص٩٤.

[٧٠] عبده، آطام المدينة، صص٩٨-٩٩.

[٧١] ابن النجار، الدرة الثمينة، ص٣٩.

[٧٢] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م، صحيح البخاري، وهو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠١٠م، ص٢٢٤.

[٧٣] ابن النجار، الدرة الثمينة، ص٥٣.

[٧٤] مزيد من التفاصيل أنظر: السمهودي، وفاء الوفا، ج١، صص٢٠٨-٢١٤.

[٧٥] عثمان، آطام المدينة المنورة، صص١٠١-١٠٢.

[٧٦] سلع:"بفتح أوله، وسكون ثانيه، السلوع: شقوق في الجبال، واحدها سلع...وسلع: جبل بسوق المدينة، قال الأزهري: سلع موضع بقرب المدينة...". الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص٢٣٦.

[٧٧] ابن النجار، الدرة الثمينة، ص١٣٦.

[٧٨] أحمد، جعفر ميرغني، مباحث في تاريخ المدينة على أيام النبي والخلفاء الراشدين، الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص٢٨٢.

[٧٩] مدني، أطوم المدينة المنورة، صص٢٢٥-٢٢٦.

[٨٠] عثمان، آطام المدينة المنورة، ص١٠٢.

[٨١] ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص٩٧.

[٨٢] قال ابن عبد الحكم:"...وإنما سميت الفسطاط كما حدثنا أبي عبد الله بن عبد الحكم وسعيد بن عفير أن عمرو بن العاص لما أراد التوجه إلى الإسكندرية لقتال من بها من الروم أمر بنزع فسطاطه فإذا فيه يمام قد فرخ فقال عمرو بن العاص لقد تحرم منا بمتحرم فأمر به فأقر كما هو وأوصى به صاحب القصر فلما قفل المسلمون من الإسكندرية فقالوا أين ننزل قالوا الفسطاط لفسطاط عمرو الذي كان خلفه وكان مضروبًا في موضع الدار التي تعرف اليوم بدار الحصى عند دار عمرو الصغيرة اليوم "، ونقل المقريزي:"في حديث النبي صلى الله عليه وسلم قال عليكم بالجماعة فإن يد الله على الفسطاط...والفسطاط المدينة وكل مدينة فسطاط ولذلك قيل لمصر فسطاط"، وذكر المستشرقون أن الاسم اشتق من الكلمة الإغريقية Fosaatum، ويذكر العدوي أن الفسطاط كلمة عربية تعنى "مجمع أهل الكورة"، والكورة هي الصقع أو المدينة، وبذلك تكون الفسطاط هى مجمع أهل المدينة.

ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص٩١، الكندي، أبي عمر محمد بن يوسف، ت ٣٥٠هـ/٩٦١م، تاريخ ولاة مصر، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص١٥، المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي، ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، ط٢، القاهرة، ١٩٨٧م، ج١، ص٢٩٦، العدوي، إبراهيم، مصر الإسلامية (سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية)، مشروع المائة كتاب ١٧، وزارة الثقافة، هيئة الآثار المصرية، ١٩٩١م، ص١٩٥.

[٨٣] ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، صص٩١-٩٢.

[٨٤] ابن منظور، لسان العرب، مج١٤، ص٣٨٠.

[٨٥] ابن منظور، لسان العرب، مج١، ص٧٩.

[٨٦] أنظر: موسى، عبد الله كامل، عمارة المساجد في الجزيرة العربية والعالم الإسلامي منذ ما قبل الهجرة النبوية حتى نهاية العصر الراشدي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط١، الإسكندرية، ٢٠١٩م، ص١٦٥.

[٨٧] الحسين، يحيى، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ج١، ص٨٨.

[٨٨] مزيد من التفاصيل أنظر: موسى، عمارة المساجد في الجزيرة العربية، صص١٦٥-١٦٨.

[٨٩] مزيد من التفاصيل أنظر: موسى، عمارة المساجد في الجزيرة العربية، ص١٦٨.

[٩٠] ابن سعد (محمد) ت٢٣٠هـ/٨٤٤م، الطبقات الكبرى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج٨، ص٤٢٠، موسى، عبد الله كامل، المآذن في العمارة المصرية والعالم الإسلامي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط١، الإسكندرية، ٢٠١٩م، مج٢، صص٥٦-٥٧.

[٩١] السمهودي، نور الدين علي بن أحمد، ت٩١١هـ/١٥٠٦م، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، حققه، وفصله، وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج٢، ص٥٣٠، موسى، المآذن في العمارة المصرية، مج٢، ص٥٨.

[٩٢] موسى، المآذن في العمارة المصرية، مج٢، صص٥٨-٥٩.